تمثّلات النّسق التّصوّري وبعده الإقناعي في كتاب ظلال القرآن لسيد قطب

Conceptual code Aspects and its convincing dimension in sayed Qutb's "the Quran shaddows"

ودي حدة[1*]، أ د برباق ربيعة [2]

[1] جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي (الجزائر)، hadda.oudi@univ-tebessa.dz

[2] جامعة الشهيد العربي التبسي (الجزائر)، rabiia.berbag@univ-tebessa.dz

تاريخ الاستلام: 2023/07/30 تاريخ القبول: 2024/02/29 تاريخ النشر: 2024/04/24

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن آلية تشكل البنيات الاستعارية وكيفية اشتغالها في التفسير ودورها في انسجام الخطاب وتأثيره في المتلقي. إذ تعد الاستعارة آلية ذهنية تقترن بالذهن البشري، وبالعلاقات الفكرية، فقد خرجت من بوتقة المفهوم التقليدي الذي جعلها عبارة عن زخرفة لفظية وأداة جمالية لتبليغ الكلام، لتصبح بعدها عملية إدراكية كامنة في الذهن البشري تؤسس أنظمتها التصورية فيه. وهذا المنطلق سعينا في هذه الورقة البحثية إلى رصد دور و أهمية النّسق الاستعاري التّصوري في كتاب ظلال القرآن لسيد قطب في ضوء اللسانيات العرفانية.

كلمات مفتاحية: النّسق، التّصوّر، الاستعارات التصورية، ظلال القرآن.

Abstract:

The aim of this research is to unveil the mechanism of metaphoric structure formulation, the way it functions in the exegesis, their role in the discourse coherence and their impact on the receiver. Metaphor is a mental mechanism related to human mind and to ideological relations. It is released from traditional concept which considered it as a verbal ornament and an aesthetic tool to communicate speeches .Nowadays, metaphor is a perception process in the human mind where it sats its own conceptual systems. On the basis of that we try via this research paper to assess the role and the importance of conceptual metaphoric code in the exegesis of Quran written by sayed Qutb in the light of cognitive linguistics.

Keywords: code; conception; conceptual metephor; The Saddows of the Quran.

[*] المؤلف المرسل

1. مقدمة:

غيّر المنظور المعرفي اللساني الحديث نظرتنا للاستعارة، من كونها عبارة عن زخرفة لفظيّة وأداة جماليّة لتبليغ الكلام- أي مجاز لغوي قائم على علاقة المشابهة- إلى ظاهرة ذهنيّة تصوّرية تنشأ في أذهاننا، ومجسّدة في ممارساتنا اليوميّة. فالاستعارة تشكل النّواة الأساسية في طبيعة الكلام الإنساني. وتدخل في جُل السياقات والخطابات اليومية أثناء عملية التّخاطب، فهي مستمدة من أنساقنا الثقافية والاجتماعية، وتعتبر أيضا آلية جوهرية لترميز المعرفة وبناء سَنَنها[1]؛ وذلك من أجل حصول الفهم البشري. والاستعارة وتقوم عن طريق عرض المفاهيم وتقابلاتها، لتنتهي بعدها بعمليّة الإسقاطات الاستعارية بين المجالين؛ المجال المصدر والمجال الهدف، ففي الاستعارة التصورية لا يتم فهم الإسقاطات إلاّ عن طريق النّمط الثّقافي.

و الثّقافة مَقْدِرة تسمح لنا بتّذوق الفنون والمعارف وتفتح لنا آفاق الاحتكاك بين القديم والحديث، وهي أنواع؛ اجتماعية ولغوية ودينية. وقد تكون إرثًا حضاريًا أو ماديًا، أو عبارة عن مخطوطات ومدونات. و كنموذج من المدونات الثقافية الإسلامية، وقع نظرنا على تفسير ظلال القرآن لسيد قطب.

يعد تفسير" الظلال" من أهم التفاسير المعاصرة، عالج فيه السيد قطب قضايا اجتماعية كبرى؛ مثل نقد المناهج الغربية، وإعلان الحرب على الحكام والمستبدين لشعوبهم، وقد بين السيد قطب أهميّة التّمسك بالعقيدة والسير على نهج الإسلام، لأنّه منهج الحياة يضمن الحرية للأفراد ويرسخ العدل بينهم. فجاءت هذه الورقة البحثية للتنقيب عن النّسق التّصوري بمختلف أنماطه(الاتجاهية، والبنيوية، الأنطولوجية) في الظلال. وعلى هذا الأساس نطرح الإشكال التالي:

-كيف تشكل النّسق التصوّري في كتاب ظلال القرآن؟

- إلى أيّ مدى أثر هذا النّسق في ذهن المتلقي؟

- كيف تجسد البعد الإقناعي للاستعارة؟

أولاً: قبل الولوج إلى تمثلات النّسق التّصوري في كتاب ظلال القرآن للسيد قطب سوف نتطرق إلى ضبط بعض المفاهيم: (النّسق، التّصور):

2. تعريف المصطلحات (النّسق، التصوّر):

1.2 تعريف النّسق:

ويعرفه"أندري لالاند"(**Andre lalande**) بقوله: «هو ذلك النّسق الذي خلّف في الأذهان أثارًا عميقة»[2]، فالنّسق بهذا المفهوم هو الأثر الناتج عن التّجارب اليوميّة، والتّفاعلات واحتكاكات بالأنماط الثّقافية، وتتحدد ماهيته بشكل أدق في علاقة الدّماغ مع البيئة –الكيميائية الفيزيائية- وفي علاقة الوعي بالتواصل[3]. والنّسق هو النّظام الواحد الذي يضبط الشئ بالتتابع لكي يصبح لحمة واحدة؛ أي تماسك الأشياء وترابطها مع بعض بسبب انتظامها؛ فكل نسقٍ يتحدد بوسائطه الخاصة؛ مثل الفعل الكلامي يتحدد حسب طبيعة الموضوع في العمليّة التّخاطبيّة.

2.2 التصوّر:

هو عملية عقلية يقصد به «تمثيلاتٌ ذهنيّةٌ خالصةٌ موجودة في الرّأس ويمكن أن تصلح معاني لتعابيرَ لغويَةٍ، وهدف هذا الاعتبار تخصيصُ الإمكانات الذّهنيّة التي تجعلُ المعرفة اللغويّة لدى الإنسان أمرًا ممكناً»[4]، فالتصوّر هو صورة ذهنيّة للمعارف التي يكونها الشّخص عن الأشياء في الذهن، ويعرف أيضًا«بأنّه الوحدة الأساسية للمعرفة المركزيّة للمقْوَلة والعمليّة التصوّرية»[5] ،والتّصور من هذا المنظور آلية ذهنية يقوم بها جميع الناس لفهم حقيقة الأشياء الماديّة المحسوسة والأجسام المجردة.

أمّا التّصور الاستعاري فهو "تصور نسقي فإن اللغة التي نستعملها للتعبير عن هذا المظهر الذي يسند للتّصور هي نفسها نسقية "[6]؛ فاللغة منظومة ذهنية مستقلة بذاتها في الجهاز العصبي لدى الإنسان، والشبكات العصبية لها القدرة على إنتاج القوالب الذهنية في مناطق متعددة من الدماغ من أجل تنظيم واستيعاب المعلومات وترميزها، فيكيف الإنسان مقدرته المعرفية التي تعد نسقًا ذهنيًا في فك الشّفرات اللغويّة، والبنيات الاستعارية هي

"عبارة عن تمثيلات إبداعية لعلاقات التّفاعل العميق بين الأشكال اللسانية والأبعاد التّصوريّة"[7]؛ أيّ لكل لفظة لسانية لها صورة ذهنية في ذهن الشخص.

3. الاستعارة التّصوريّة:

تعتبر الاستعارة من أهم الموضوعات التي اهتم بها العلماء، فهي آلية مركزية تتمحور عليها اللغة الطبيعيّة، وتمثل أداة مفهمة وحيلة ذهنيّة يقوم بها الدماغ لفهم العالم[8] وتمثيل المفاهيم، فهذا الأخير قائم عن طريق التّوسع الدّلالي الذي يمثل توسع تصوّريّ يقع في حدود ما تتيحه سعة البنيّة الخطاطيّة للمضمون التّصوّري للقول وللمفردة ويساهم بإنتاج دلالات جديدة[9].

و قد ظهرت الاستعارة التّصوّرية مع لايكوف (Lakoff) وجونسن (Johnson) في كتابهما (Metaphors we live by) والذي ترجم إلى الاستعارات التي نحيا بها عام (1980)، فهذا المشروع المعرفي يعدّ نقطة التّحول والتّغير الجذري في رؤية الاستعارة وآليتها ودورها الجوهري، إذ تخلصت الاستعارة معهما من القيود الأرسطية؛ الذي نظرت إلى الاستعارة بأنّها عملية استبدالية، وفي هذا الصدد يقول "لايكوف"و"وجونسون":«تصورنا للاستعارة يناقض ما يذهب إليه هذا التقليد. فالاستعارة بالنسبة إلينا،جوهرية في [حصول] الفهم البشري، كما تشكل آلية لخلق دلالات جديدة وحقائق جديدة في حياتنا. وبهذا فنحن نعارض التيارات المركزية في الفلسفة الغربية، التي تعتبر الاستعارة عاملا ذاتيا؛ ومن ثمّ عنصر هداما موجها ضد البحث عن الصدق المطلق»[10]، فالاستعارة وفق هذا المنطلق ليس لها ارتباط باللغة أو اللفظ بقدر مالها ارتباط بالفكر، فهي متجذرة في الذهن وظهورها في اللغة وجه من وجوه تحققها، ولها دور أساسي في بناء المعنى وتفسيره وتوسيعه؛ والاستعارة في الغالب تبدع المعاني الجديدة.

وتتمركز الاستعارة التّصوّرية « في عمق نشاطنا الفكري، و تتمظهر في أدنى ملابسات التفكير اليومي ذلك لأن نسقنا التّصوّري العادي الذي يسير تفكيرنا، وسلوكنا له طبيعة

استعارية بالأساس»[11]. حيث تلعب التجربة الإنسانية دورًا كبيرًا في تجسيد الاستعارة فهي مرتبطة بالفكر، وحاضرة في جلّ خطاباتنا اليومية.

1.3 بناء المسار الاستعاري وإسقاطه :

يتم بناء المسار الاستعاري عن طريق مجموعة من الأوليات الأساسية[12] من خلال الإسقاط* المتعلق بين جمع تصوّرين مختلفين للاستعارة التّصوّريّة[13]، يقول"زولتان كوفيتش"«إذا فهمنا مجالاً تصوّرياً (**Consptual domain**) من خلال مجال تصوّري آخر، فنحن نكون إزاء استعارة تصوّرية وهذا الفهم يكتمل بالنظر إلى مجموعة المتطابقات الآلية (**Systematic correspendances**) أو الإسقاطات (**mappings**) بين هذين المجالين»[14]،نفهم من هذا القول أنّ الاستعارة التصوّرية تقوم عن طريق فهم ميدان تصوّري ما عن طريق ميدان تصوّريّ آخر، ويقوم هذا المبدأ بتوسّط علاقات الإسقاط المفهوميّ؛ «من حيث هو جملة التّناسبات التي تقوم بين المجالين عنصرا بعنصر أو مكوّنا بمكوّن، يجمل لايكوف ذلك في ما يسمّيه إسقاط المعارف المتعلّقة بالمجال المصدر على المعارف المتعلّقة بالمجال الهدف، فتكون إبستيمية ومكمن الاستعارة في تلك التّناسبات»[15]، أي أن الاستعارة التّصوّرية مؤسسة على ميدانين أساسيين، ميدان مصدر ويكون ملموسا عادة، ويستعمل لفهم ميدان آخر والميدان الثاني ميدان الهدف ويكون مجردًا وهو يفهم عن طريق الأول.

أمّا عن عملية بناء الاستعارة في نظرية المزج التّصوّري (**Conceptul Blending Theory**) فحسب جيل فوكويني (**Gilles Fauconnier**) ومارك تونر(**Mark turner**) هي قائمة على دمج بين فضاء ين ذهنيين تحكم نظام اشتغال الذّهن البشريّ. فتتمّ بإسقاط بنية انطلاقا من فضاءات إدخال ذهنية إلى فضاء ذهني ممزوج مستقل عنها[16]. يمثل المزج « ذلك المرّقع الذّهني الذي نشأ بفضل التّطوّر البيولوجي . فالمزج يشتغل على ما هو حاصل في ما نعرفه بأن يشتغل بين الأشياء بوجوه جديدة يكون لها نشوء بنية جديدة لا تتأتى مخصوصا ممّا يكون تجميعه من العناصر»[17]، ويعدّ ملكة عرفانية، يستعمل لبناء الحقائق والمفاهيم وذلك نتيجة التّراكمات والخبرات المعرفية؛ أي ما يحصل بين تمازجات آنية وفورية في عملية التّخاطب، أو أثناء القيام بعمليات ذهنية. فَيَكْمُنُ جوهر هذه العملية في بناء تكافؤ جزئي بين فضاء إدخال ذهني **input mental spaces** وفضاء إدخال آخر، وإسقاط اختياري من هذين الإدخالين نحو فضاء ذهني جديد ممزوج[18].

4. الاستعارة والنمط الثقافي:

تُعدّ الثقافة هوية للمجتمع والفرد وهي منظومة من الأفكار، وسمة أساسية لسيرورات المجتمع المعقّدة والمتداخلة، وتترجم عن طريق تجلِّ اللغة؛ وتتأسس على جملة من التّصوّرات الاستعارية التي تحدّد هويتها وتميزها أو تصلها بالثقافات الأخرى[19].

والثّقافة هي التي تعطي للاستعارة معنًا وتلعب دورًا مهمًا في تشكلها؛ فالاستعارة التّصوّرية لا يمكن فهمها إلاّ في ظلّ الثّقافة التي أنتجتها، و لا تكون مقبولة ومفهومة إلاّ إذا انسجمت مع النّمط الثّقافي الذي نعيشه، وهذا الأخير يحكم أنساقنا التّصوّرية ورؤيتنا للعالم[20] وفي هذا الصدد يقول "لايكوف"و"جونسون":«فعندما لا يشترك النّاس الذين يتحاورون في نفس المعرفة ونفس القيم ونفس المسلمات، فإنّ الفهم المتبادل يكون صعبا. إنّ هذا الفهم يكون ممكنا من خلال التّفاوض بشأن المعنى، ولكن نتفاوض مع أحدهم بشأن المعنى عليك أن تعي الاختلافات في الخلفيّات وتحترمَها، وتعلم متى تكون تلك الاختلافات مهمّة، وتحتاج إلى ما يكفي من التّنوع الثّقافيّ في التجربة الشخصيّة كي تعي لوجود رؤى مختلفة للعالم، وتعرف ما هي طبيعتها المحتملة، تحتاج كذلك إلى الصبّر، إلى نوع من المرونة في رؤيتك للعالم، وتفّهم للأخطاء، وموهبة في إيجاد الاستعارة المناسبة، لكي توصل الأجزاء الواردة التّجارب غير المشتركة»[21]. لعل الفكرة الجوهرية في هذا القول تكمن في مستوى المعرفة بين الأفراد؛ أي مراعاة الخبرات المكتسبة من قبل الأشخاص من خلال التجارب اليومية ومهارات التّعلم، والقيم نفسها وكذلك المسلمات، واحترام الخلفيات المعرفيّة للطرف الثاني، وتبرز أيضا أهمية التّشبع الثقافي في التجارب الشخصية، وبهذا لكي نفهم الاستعارة لابد أن تنسجم ممارستنا اللّغوية مع أنساقنا التّصوّرية ومع ثقافتنا وتجربتنا الحياتيّة.

5.تجليّات الاستعارات التّصورية في كتاب ظلال القرآن لسيد قطب (نماذج تطبيقية مختارة):

كتاب ظلال القرآن المعروف باسم "الظلال" هو من الكتب المعاصرة التي اهتم بتفسير القرآن الكريم، ألفة سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي (1906-1966)، ويتكون هذا الكتاب من ستة مجلدات، وقد قسمه إلى ثلاثين جزء حسب أجزاء القرآن الكريم، واعتمد فيه إلى تقسيم السورة الواحدة إلى دروس ومشاهد واستخلص منها العبر مع ربطها بالواقع المعاش في ذلك العصر، والظلال يمثل لونا جديدا في التفسير، ونقلة بعيدة فيه، وأساسًا لمدرسة جديدة فريدة متميزة في التفسير هي مدرسة"التفسير

الحركي[22]". وسيد قطب يهتمُّ بالتّذوق الأدبي للنص القرآني، وتفسيره يعدّ نصًا أدبيًا بامتياز بما فيه من حرارة التعبير وموسيقاه، وليس للتذوق الأدبي للنص القرآني عند سيد قطب مجرد نزعة انطباعية غامضة تعتمد على الوجدان الذاتي بل عنده عدةُ ضوابط يلتقي هو القارئ عليها، منها الوحدة الفكرية والنفسية معًا[23]، من هذا المنطلق سنحاول البحث في آليات تشكل البنيات الاستعارية وكيفية اشتغالها في التفسير و دورها في انسجام الخطاب وتأثيره في المتلقي.

1.5 –الاستعارات البنيوية (Structural metaphors):

هي استعارة "مجالها التّصورات لا الألفاظ أو التراكيب، ولهذا فإنّ "لايكوف" يفصل في مقاربته بين التّصورات الاستعارية، والعبارات الاستعارية. فالتصورات مجردة مجالها الذهن/ الفكر، والعبارات مجالها الألفاظ، وهي وسيلة تواصل تتيح إظهار التّصورات وفهمها وتبادلها"[24].

من أبرز الاستعارات البنيوية البارزة في ظلال القرآن لسيد قطب على سبيل التّمثيل لا الحصر:

- نسق الشريعة ثمرة :

«إن شريعة الله للناس هي طرف من قانونه الكلي في الكون. فإنفاذ هذه الشريعة لابد أن تكون له أثر إيجابي في التنسيق بين السيرة الناس وسيرة الكون.. والشريعة وإن هي ثمرة الإيمان لا تقوم وحدها بغير أصلها الكبير»[25].

-نسق المعرفة والاستقامة ثمرة:

-«﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ وفقنا إلى معرفة الطريق المستقيم الواصل؛ ووفقنا للاستقامة عليه بعد معرفته.. فالمعرفة والاستقامة كلتاهما ثمرة لهداية الله ورعايته ورحمته. والتوجه إلى الله في هذا الأمر هو ثمرة الاعتقاد بأنّه وحده المعين»[26].

لقد أسند سيد"قطب" في هذا المقطع لكل من الكلمات "الشريعة"و"المعرفة"و"الاستقامة" لفظة "الثّمرة"، فنتجت لنا استعارات بنيوية تم فيها إسناد المجرّد إلى المادي، وذلك لفهم مجال آخر ذا أهمية يتمثل في دور القوانين الإسلامية في ضبط حياة الفرد داخل بيئته، وجعله يسير على خطاها من أجل الفوز برضا الله، فالتّمسك بالعقيدة وإتباعها طريق للفلاح والنجاح في هذه الدنيا،لأنّها تمنع الإنسان من ارتكاب المعاصي وتجعله يتذوق الإيمان. فهذا ما جعلنا السيد "قطب"ندركه ونتصوره بدقة، وقد استند في تفسير إلى مجال مستند إلى نسقنا التّصوري متعلق بالثّمار، فبَنْيَنَة نسقنا التّصوري عن النبات وتجارب المسلم عنه تتلخص في كون الثّمرة هي كل ما تنتجه الأشجار؛ فالثّمار تعتبر مصدرًا غذائيًا للإنسان وجل الكائنات الحية، فلجوء السيد "قطب" إلى إسقاط هذا النّسق التّصوري على مجال

الشريعة حتى نفهم جيدًا أنّها الغذاء الرّوحي لنا؛ والتّوكل على الله وانتهاج القوانين الإسلامية التي شرعها الله عز وجل هي طريق النّجاة.

وقد حاول السيد "قطب" في هذا المقطع نقل خصائص النّسق التّصوري لثّمرة، وإسقاطه على العقيدة فجعلنا نتصور أن حاجة الإنسان إلى العقيدة كحاجته إلى الثّمار؛ فهي الطعم الحلو الذي وجب أن نتذوقه؛ والعقيدة تزهر القلوب وتطمئن النفوس، وتجعل الفرد والمجتمع ينعمان بالطمأنينة، فإن ابتعدوا عنها لزمتهم الحيرة والنّكد والحياة التعيسة.

ومن بين التّرسيمات الاستعارية التي نلحظها بين المجالين؛ المجال المصدر (الثّمرة) والمجال الهدف (الشريعة/ العقيدة) نذكر مايلي:

المجال المصدر(الثّمرة)	المجال الهدف (الشّريعة)
-العضو الذي يحمي البذرة من التلف. -مصدر غذائي للإنسان. - طعمها حلو المذاق	-إتباعها تحمي الفرد من الضلال والانحراف - مصدر غذائي للروح - تذوقها يجعل النفس تسمو إلى العلاء.

من خلال ما تقدّم تُبَنْيِنُ لنا التّرسيمة الاستعارية أنّ الاسقاط الاستعاري لا يكون اعتباطيا وعشوائيا بل هو راجع إلى مجالنا التّصوّري للأشياء، ويمكننا القول إنّ "الشّريعة" و "المعرفة" و"الاستقامة" أنساق مجردة ليس لها كيانات مادية، و لا يمكن للذهن فهمها بشكل جيد أو مَقْوَلَتُها، أو تصنيفها أو الإحالة عليها دون بَنْيَنَتها في مجال مادي. و اختار سيد قطب أن يكون مجالها الثّمار، وهو مجال قائم في نسقنا التّصوري، ويستند إلى تجاربنا وتفاعلاتنا في الحياة ومعرفتنا عنه.

-«والحكمة ثمرة التعليم بهذا الكتاب؛ وهي ملكة يتأتى معها وضع الأمور في مواضعها الصحيحة، ووزن الأمور بموازينها الصحيحة، وإدراك غايات الأوامر والتوجيهات.. وكذلك تحققت هذه الثمرة ناضجة لمن رجاهم الرسول الله- صلى الله عليه وسلم- وزكاهم بآيات الله.»[27].

في هذا المقطع وظف سيد"قطب" العبارة الاستعارية (الحكمة ثمرة). من خلالها نَلْمُسُ، أنّ لفظة الثّمرة لا تدل على شئ مخصوص من الثمار. فالمقصود من الاستعارة ليس الثمرة في حد ذاتها بل ما يتعلق بها من دور ووظائف رئيسية التي تؤديها الثمار من نشر البذور والسماح للنبات بالتكاثر، فالحكمة ملكة تجعل الإنسان يدرك كل ما يدور من حوله، فالمجال المصدر(الثمرة) والمجال الهدف (الحكمة) تقوم على علاقة المقابلة بين الحكمة والثمرة فالروابط المكونة لتّصور (الثمار) موجود في أذهاننا.

-نسق التوحيد بناء:

-«بدأ السياق القرآني بالقاعدة الأولية التي يقوم عليها بناء الإسلام كله. وبناء النظام الإسلامي في شي جوانبه«الله لا إله هو، ليجمعنكم إلى يوم القيامة لاريب فيه. ومن أصدق من الله حديثا؟ » أنه توحيد الله –سبحانه- وإفراده بالألوهية تبدأ خطوات المنهج الرباني؟»[28].

يعدُّ الإسلام منهج مجردًا فهو دين واعتقاد جازم؛ وهو الدين الذي ارتضاه الله عز وجل للبشرية جمعاء، والدين الإسلامي؛ هو الإيمان بالله عز وجل وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وقضائه وقدره. و قد عبّر سيد قطب عليه بإطار البناء عن طريق التّلميح فالبناء تجربة جسدية ملموسة ترتبط بجسد الإنسان.

تفسر لنا استعارة "التّوحيد" بناية، على فهم الدين من منطلق بنية البناية، ففهم هذا التّصور مؤسس على المعطيات الثقافية والاجتماعية لنا، فالبناية هي المقر والاستقرار والآمان، والحماية من جلّ الظواهر الطبيعية، والبناية تتكون من الغرف والجدران والأسقف والأبواب وإلى غير ذلك، وعند ذكرها يستدعي ذهننا الوظائف التي تؤديها؛ من حماية العائلة من كل الأخطار التي قد تهددها، فتوفر لها الأمن واستقرار، وتمثيل البنايات رمزًا للحضارات القديمة؛ مثل الفن المعماري الروماني فهو رمزًا شاهدًا على حضارة عظيمة، وأمّا الهندسة المعمارية الإسلامية تمثل فن الجمال وثقافة متعددة ومتنوعة، ويعدّ تشييد البنيات فنًا مجسدًا على أرض الواقع بعدما كانت مجرد تصورًا ذهنيا.

إنّ استعارة النّسق التّصوّري للبناء من طرف سيد قطب يريد به نقل التّوحيد من مجاله الهدف إلى المجال المصدر البناء لكي يوضح لنا التّوحيد من خلال تصويره نسقًا تصوريًا محسوسًا وهو البناء وتبيانه في الهيئة الفيزيائية الملموسة، فتصويره جاء من خلال كيان قائم وبناء منتصب، ولهذا تعد الكيانات المجسدة رمزًا للحماية والقوة.

ومن بين الترسيمات الاستعارية التي نلمحها بين البناية والإسلام ماهو موضح في الجدول أدناه:

المصدر(البناية)	الهدف (الإسلام)
تشيد من طرف مهندس البناء - تقوم على الأساس والأعمدة والأسقف -تحمي الفرد من البرد والحرّ	-الشارع فيها الله عز وجل. -يقوم على أركان خمس والتي يبنى عليها الدين الإسلامي -حماية المسلم من الوقوع في الكبائر، وتسيير طريقه للنجاة من النار

2.5-الاستعارات الاتجاهية(Orientational metaphors):

هي نوع من الاستعارات التي تنظم نسقًا من التّصورات المتعالقة، وترتبط أغلبها بالاتجاه الفضائي (عال- مستفل، داخل- خارج، أمام-وراء، فوق- تحت، عميق- سطحي، مركزي- هامشي)، وتنبع هذه الاتجاهات الفضائية من كون أجسادنا لها هذا الشكل الذي هي عليه، وتشتغل به في محيطها الفيزيائي[29].

من أبرز الاستعارات الاتجاهية البارزة في ظلال القرآن لسيد قطب على سبيل التمثيل لا الحصر:

-نسق الإسلام أمام:

-«.. ومن ثم فإن المنهج الإلهي موضوع للمدى الطويل(...) إن المدى أمامه ممتد فسيح، لا يحده عمر فرد، ولا تستحثه رغبة فانٍ، يخشى أن يعجله الموت عن تحقيق غايته البعيدة؛ كما يقع لأصحاب المذاهب الأرضية الذين يعتسفون الأمر كله في جيل واحد، ويتخطون الفطرة المتزنة الخطى لأنهم لايبصرون على الخطو المتزن! وفي الطريق العسوف التي يسلكونها تقوم المجازر، وتسيل الدماء، وتتحطم القيم، وتضطر الأمور.ثم يتحطمون هم في النهاية، تتحطم مذاهبهم المصطنعة تحت مطارق

الفطرة التي لاتضمد لها المذاهب المتعسفة! فأما الإسلام فيسير هينًا لينًا مع الفطرة، يدفعها من هنا، ويردعها من هناك، ويقومها حيث تميل، ولكنه لا يكسرها ولا يحطمها»[30].

في هذا المقطع يصور لنا سيد قطب شريعة الله عز وجل أنّها هي الحاكمة على مرّ العصور، فالنّسق الاستعاري"الإسلام أمام" يستند إلى مرتكزات فيزيائية وثقافية تكمن في اعتباره متقدم ويسير إلى الأمام، إننا ننظر إلى المستقبل وفق الاتجاه الذي نتحرك فيه، ونتجه نحوه فمستقبل الإسلام يتجه إلى الأمام؛ وهو ممتد و لا يتحدد ببعد زمني. في حين المدى فيصوره لنا سيد قطب بما لا نهاية للزمن. فالزمن لا يمتلك إلا اتجاهين اثنين وهما أمام؛ الذي يمثل المضيّ قدما أو وراء؛ وهو الزمن الذي مرّ وانقضى، والزمن لا يمتلك اتجاها فوقيًا، أو تحتيًا، أو جانبيًا وغير ملموس.

-نسق الفطرة فوق، و المذاهب الغربية تحت:

يرمز الاتجاه الفضائي "تحت" في اللغة العربيّة إلى الدّنو والدرجة السفلى، وضدها المفردة "فوق" التي تدل على العليّة، فهذا المفهوم راجع إلى مفهوم الماديّ والمعنويّ، أمّا عن دلالة هذه اللفظة من ناحية الجانب الدينيّ والإسلاميّ فهو الابتعاد عن العقيدة.

وسيد قطب من خلال هذه الاستعارة يحثنا إلى ضرورة دعوة المسلمين إلى تطبيق ما شّرع القرآن الكريم في واقعهم المعاصر لما له فائدة لصلاح المجتمع والفرد، وتطبيق الأحكام والأوامر الإسلامية لمالها آثارها الاجتماعية الكبرى.

وفي هذا النسق الاستعاري يريد سيد قطب إبراز ضعف المنجزات الحديثة والنظريات الغربية السائدة في العصر الحالي، ففي نظره لا تقوى ولا تصمد أمام التّيار الإسلامي، حيث تتحطم مثل الزجاج أمام مطرقة الفطرة، فهذه الوضعية الفيزيائية لهذا التصور ترتبط بالخضوع والضعف، وتكمن فاعليّة الاستعارة في رغبة سيد قطب في كشف زيف هذه المذاهب الغربيّة، وأن هذه النظريات زائلة ولا قيمة لها إزاء التّمسك بالدين وتطبيق أوامره فالوضعية الفيزيائية للفطرة تتبوأ القمة والمكانة العاليّة، والشّكل الموالي يوضّح الاستعارة الاتجاهيّة للفطرة.

الشكل (1): يوضح استعارة اتجاهية: الفطرة فوق والمذاهب الغربية تحت.

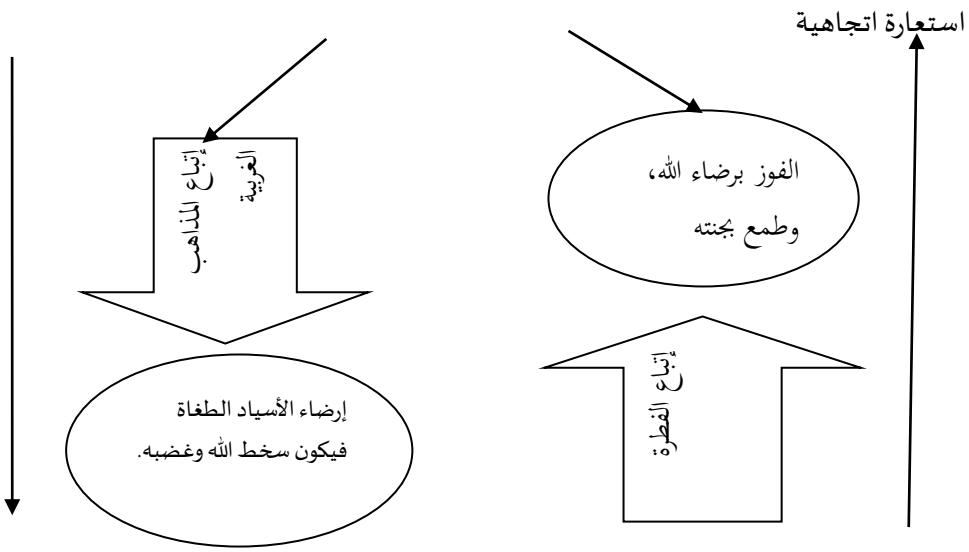

-نسق الوعي فوق واللاوعي تحت.

-«لقد جاء الإسلام وفي العالم ركام من العقائد والتصورات والأساطير والفلسفات و الأوهام والأفكار..يختلط فيها الحق بالباطل، والصحيح بالزائف، والدين بالخرافة، والفلسفة بالأسطورة.. والضمير الإنساني تحت هذا الركام الهائل يتخبط في ظلمات وظنون، ولا يستقر منها علي يقين»[31].

يعدّ الضمير الإنساني؛"تلك البَصيرة التي أفاءها الله على الجنس البشري في مجموع أفراده. وعبقريَّاته،و رُؤاه "[32]. نفهم من خلال هذا التعريف أنّ الضمير الإنساني؛ هو الاستعداد النفسي والتهيء لإدراك كل ما يدور من حولنا؛ من الخبث، والطيبة، من الأفعال والأقوال والأعمال.

فالإنسان الضعيف قد يفقد أمام الشّهوات وملذات الحياة سيطرة على ضميره و ينساق إلى الطريق الخطأ، ويصبح خاضعا مذْلولاً.

إنّ استعارة اللاوعي"تحت" تجعل الإنسان في خضوع وضعف، فتساعدنا على فهم تصور الظلمات والظّن، من خلال أساسها في تجربتنا الفيزيائية المباشرة مع محيطنا، فوضعية الجسد تصبح في منطقة منخفظة؛ فهذا التعبير الاستعاري عن الظلمات، يقابل الظلمات أسفل.فتصور الظلمات؛ هو تصور مجرد يتم من خلال ارتباطه بالاتجاه الفضائي "تحت" الدال على السفليّة.

3.5- الاستعارات الأنطولوجية (الوجودية):

تنتج هذه الاستعارات من خلال تفاعل تجاربنا مع الأشياء الفيزيائية، و بخاصة أجسادنا، لأنَّ هذه الاستعارات تقدّم طرقا للنظر إلى الأنشطة والأحداث والأحاسيس والأفكار على أنها كيانات ومادة، فتصوّراتنا ومفاهيمنا لا يمكنها أن تتشكّل إلا من خلال الجسد "وبذلك فكلّ فهم لدينا عن العالم وعن أنفسنا والآخرين لا يمكن تأطيره إلاّ من خلال المفاهيم التي تشكّلها أجسادنا"[33].

من أبرز الاستعارات الأنطلوجيّة (الوجودية) البارزة في ظلال القرآن لسيد قطب نجد على سبيل التمثيل لا الحصر:

-نسق الإسلام شخص قائد:

-«فمنهج الحياة شئ، والعلوم البحتة والتجريبية والتطبيقية شئ آخر، والإسلام الذي جاء ليقود الحياة بمنهج الله، هو الإسلام الذي وجه العقل للمعرفة والانتفاع بكل إبداع مادي في نطاق منهجه للحياة»[34].

تمكن سيد قطب في هذه العبارة الاستعارية من رسم الإسلام كشخص، وقد حددت سماته الفيزيائية؛ بمواصفات القائد المغوار؛ الذي يتسلم ويقود ويمتلك العزيمة والإدارة لتحقيق الهدف والمبتغى المرجو.فالإسلام القائد هدفه تحرير الأمة من الظلمات إلى النور، وإخراج هذه الأمة من الفساد التي كانت تتخبط فيه، وتحقيق العدل بإنصاف دون مراعاة إلى الجنس والأصل واللون.

وحتى تتعزز لنا شرعية قيادة الإسلام، نجد التناظرات بين الميدانين: القائد وسماته الجسديّة تقابل الإسلام، ونكون إزاء التّرسيمة الاستعارية التالية:

المجال المصدر(القائد)	المجال الهدف(الإسلام)
-تنفيذ أوامر القائد بحذافيرها -العدالة والمساواة بين أفراد جيش، أو قبيلة وعدم التفريق بينهم -التّكفل؛ بالذود عن المستضعفين من القبيلة ونصرة المظلوم	-انقياد لأوامر الله، بالطاعة. -العدالة والمساواة بين جمع البشر. -التّكافل والتّعاون بين الأفراد المجتمع مثل فرض الزكاة، وكفّ الأذى

-نسق الإسلام شخص صادق:

-«قال الإسلام كلمة الفصل بمثل هذا في صفات الله وبخاصة ما يتعلق منها بالربوبية المطلقة»[35].

وظف سيد قطب في هذا المقطع استعارة تشخيصيّة، يظّهر فيها الإسلام تصورا مجردا، أسند إليه صفة من الصفات التي يختص بها الإنسان؛ وهذه الصفة(الصدق).

إن النسق التّصوري الذي يُبَنيْن فهمنا للإنسان و خصائصه هو الذي يوجه تفكيرنا في نسق مغاير يكمن في الإسلام؛ فالإسلام شخص صادق، يقول الحقيقة دوما، وهو معروف بها أما الآخرين فكلمته كحد السيف قاطعة لا جدال فيها، ولكي نفهم هذه السّمات الفيزيائية وإسقاطها على الإسلام، نكون أمام التّرسيمة الاستعارية التالية:

الشخص الصادق التّرسيمة الإسلام

- قول الحق ⟵ جوهر الدعوة

- النّضج الفكري وحسن التّدبر ⟵ البراهين العقلية؛ عدم مخالفة المسائل البديهية.

-مكارم الأخلاق وحسن الخصال ⟵ الشّمائل الصفات، يدعو إلى حسن الخلق.

إنّ العناصر المكوّنة للميدان التّصوّري المصدر(الشخص الصادق) في علاقة نسقيّة مع العناصر المكوّنة للميدان التّصوّري الهدف (الإسلام).

استعارة الوعاء: القلب وعاء.

-«لابد لمن يريد أن يجد الهدى في القرآن (...) وعندئذ يتفتح القرآن عن أسراره وأنواره، ويسكبها في القلب الذي جاء إليه متقيا، خائفًا، حساسًا، مهيأ للتلقي»[36].

في هذه الاستعارة الأنطلوجيّة تحوّل القلب إلى وعاء "للإيمان"، فهذه الاستعارة تنبع من الخاصية الفيزيائية التي تمتلكها أجسادنا، فكلمة القلب تحيلنا على العضو الأساسي في الجسد البشري. فالقلب وعاء لتجمع الدم المحّمل بثاني أكسيد الكربون وإعادة ضخه مرة آخرى محملاً بالأكسجين، فهو وعاء مثلما يقوم الوعاء بحفظ المواد المخزنة فيه، والوعاء له فضاء محدد، فالقلب شكله محدد، ولكنه موطن لكثير من الأسرار؛ قد يحتوي على الآلام، والمعاناة، والفرح، والحب، والحزن في الآن ذاته. ويمكننا التمثيل لهذه الاستعارة بهذا المخطط الآتي:

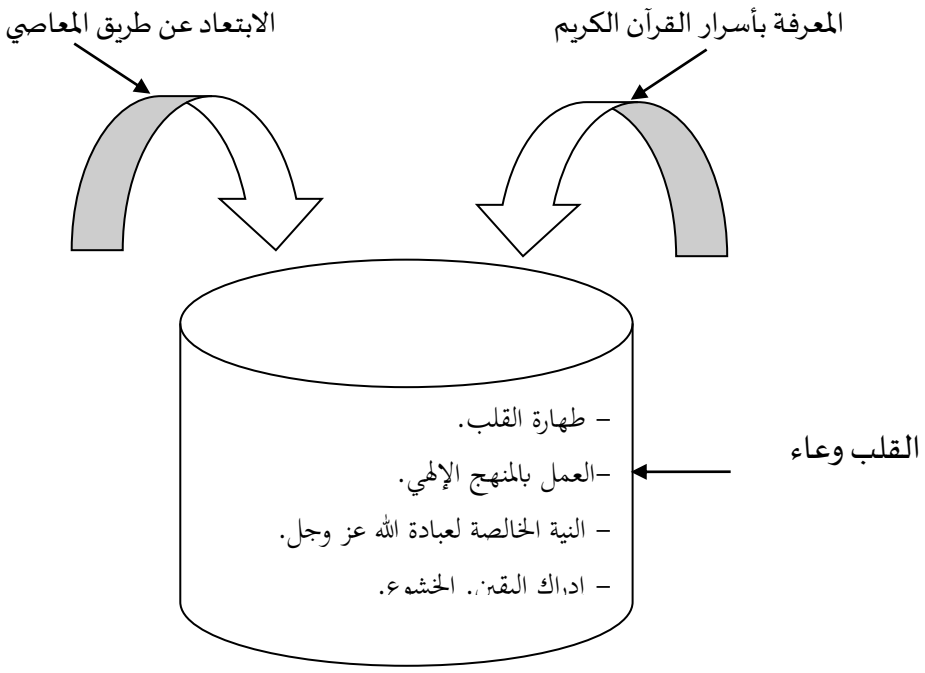

الشكل 2: شكل يوضح استعارة القلب وعاء

6. البعد الإقناعي للاستعارات في الظلال:

استند السيد قطب على استعارات مرتبطة بالطبيعة الاجتماعية لدى المتلقي وقارئ الظلال، فهذه الطبيعة تتغير حسب السياقات والقضية التي يريد السيد قطب أن تكون نقطة محورية وحجة إقناعية لديه. من أجل جذب القارئ وهيكلة المفاهيم لديه وشرحها لتوصيل رسالته ضمنيّة؛ وهي التمسك بالعروة الوثقى"الإسلام"، ففي العبارة الاستعارية "الشريعة ثمرة"و"المعرفة" و"الاستقامة" كلتاهما ثمرة" دليل قوي من أجل التمسك بحبل الله؛ وسبيل النّجاح والفلاح، والابتعاد عن العقيدة يكون حرمانًا، فهو يريد تحرير من المعتقدات الجاهلية القديمة فإدراك المرء للأقوال والأشياء يكون بإعمال الفكر.

إن النّسق التصوري "مذاهبهم المصطنعة تحت مطارق الفطرة"و" الضمير الإنساني تحت هذا الركام" أدت وظيفة تبليغ وإخبار ونصح؛ فتمثلت في تبليغنا عن زيف النظريات الغربية وأوهامها المذهبية؛ فهذه الأخيرة تحيك المكر والخداع بين طياتها؛ لأنّ أغلبها تنكر وجود الخالق، فالسيد قطب ينصح بعدم إتباعها وسير على نهجها، بل إتباع منهج الله-الإسلام- هو الوحيد الذي يوجههنا في بناء حياتنا الاجتماعية والاقتصادية.

من خلال ما تقدم نرى أن تركيز سيد قطب منصب على تبليغ رسالة إلى كافة المسلمين أن القرآن حقيقة أبدية، من يسير على خطاه يسلم من ظّلال، فإتباع منهجه يحفظ للأفراد توازنهم واستقامتهم في الحياة، لأنّه كينونة مستمرة في هذا الكون، والقرآن هو كلام الله عز وجل ومهد النور لنا.

7. خاتمة:

نخلص في نهاية هذه الورقة البحثيّة إلى جملة من النتائج نوردها في النقاط الآتية:

- يتّضح لنا من خلال تحليلنا لبعض الاستعارات أن سيد "قطب" قد استعان في تفسيره للقرآن الكريم بالأنساق المادية لفهم وبنْيَنَة الأنساق المجردة، فهذا الإسقاط الاستعاري أدّى بنا إلى إدراك المعنى وفهم البعد النّسقي التّصوري للعقيدة وإبراز دورها في حياتنا.

- إنّ أنساق سيد "قطب" التّصوّرية قد ربطت بين قضايا القرآن والواقع المعاش في ذلك العصر.

- تكشف لنا الاستعارة في ظلال القرآن عن النمط الثقافي الإسلامي، والخلفيات الفكرية التي توجه رؤية سيد "قطب" للأشياء مما جعل تفسيره للقرآن الكريم ذا صبغة معاصرة ومخالفًا لمن سبقوه من ذي قبل.

- تأثير الثقافة الإسلامية واضح وجليّ على النّسق التصوّري الاستعاري للسيد "قطب".

- جل النّماذج الاستعارية المأخوذة من كتاب السيد قطب حققت مقصدية للاستعارة وديناميتها، أدت إلى انسجام الخطاب ونسجه لحمة واحدة، وقد تركت أثرًا في ذهن المتلقي والقارئ.

5. قائمة المراجع:

[1] - جورج لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، تر: عبد المجيد جحفة وعبد الإله سليم، دار توبقال للنشر، ط1، 2005، ص7.

[2] - أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تح: أحمد الخليل، منشورات عويدات، بيروت، ط2001،2، ص3.

[3] - ينظر: نيكلاس لوهمان، مدخل إلى نظرية الأنساق، تر: يوسف فهمي حجازي، مر: رامز الملأ، منشورات الجمل، بغداد، ط1، 2010، ص153.

[4] - محمد غاليم، المعنى والتوافق، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010، ص42.

[5]-Vyvyanevans, A Glossary Linguistics, edinburgh university press, 2007, p31.

[6] -جيرارد ستين، فهم الاستعارة في الأدب مقاربة تجريبية تطبيقية، تر:محمد أحمد حمد، مراجعة: شعبان مكاوي، المجلس الأعلى للثقافة، ص25.

[7] -أحمد العاقد، المعرفة والتواصل عن آليات النسق الاستعاري، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط،ط1، ص95.

[8] -ينظر: عبد الرحمن محمد طعمة، البناء العصبي للغة، دراسة بيولوجية تطورية، في إطار اللسانيات العرفانية العصبية، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2017، ص402.

[9] -سرور الحشيشة، من قضايا البؤرة في اللّسانيّات مقاربة وظيفية- عرفانية، دار محمد علي، صفاقس، تونس، ط1، 2021، ص232.

*الإسقاط مصطلح مستعار من مجال الرياضيات. ولكن طريقة اعتماده والمجالات التي يوظّف فيها الدرس تجاوزت مجال الرياضيات، فأصبح يأخذ بعين الاعتبار الأنماط السوسيولوجية، والقدرة على التّعلم والتطوّر السيكولوجي، ينظر: وسيمة نجاح مصمودي، المقارباتُ العرفانيّةُ وتحديث الفكر البلاغي، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن،ط1، 2017، ص141.

[10] -جورج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، تر: جحفة عبد المجيد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996، ص189.

[11] -توفيق قريرة، الشّعرية العرفانيّة مفاهيم وتطبيقات على نصوص شعريّة قديمة وحديثة، دار نهى للطباعة، صفاقس، تونس، ط1، 2015، ص ص 173-174.

[12] -عبد العالي العامري، الاستعارة التصورية وبناء المعنى في ضوء اللسانيات المعرفية، عالم الكتاب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2018، ص66.

[13] -ينظر:محمّد الصّالح البوعمراني،نحو شّعرية عرفانية الأسس الأسطورية للتصوّرات الاستعاريّة في شعر أودنيس، أبحاث معرفية في النقد الأدبي، تح: محمد مصطفى حسانين، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ج3، ط1، 2021، ص39.

[14] -نقلا عن: خالد ميلاد، النظريات والتطبيقات، الشركة التونسية للنشر، تونس، ط1، 2015، ص482.

[15] -الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، منشورات الإختلاف، تونس، دط، 2009،ص ص143-144.

[16] -عمر دحمان، من تطبيقات البلاغة المعرفية عند مارك تورنر- الذهني الأدبي والمزج التصوري، أبحاث معرفية في النقد الأدبي، تح: محمد مصطفي حسانين، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ج3،ط12021،1،ص98.

[17] -مارك تيرنر، مدخل في نظرية المزج، تر: الأزهر الزناد، نسخة الكترونية، ص2.

[18] -عمر بن دحمان، من تطبيقات البلاغة المعرفية عند مارك تورنر الذهن الأدبي والمزج التصوري، أبحاث معرفية في النقد الأدبي، تح: محمد مصطفى حسانين، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ج3،ط1، 2021، ص97.

[19] -ينظر: محمد الصالح البوعمراني، السيميائية العرفانية الاستعاري والثقافي مركز النشر الجامعي، تونس، دط، 2015، ص58.

[20] - ينظر: محمد الصالح البوعمراني، السيميائية العرفانية الاستعاري والثقافي مركز النشر الجامعي، تونس، دط، 2015، ص ص 56-135.

[21] - جورج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، تر: جحفة عبد المجيد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996، ص2016.

[22] -صلاح عبد الفتاح الخالدي، في ظلال القرآن في الميزان، دار عمار، عمان، الأردن، ط2، 2000، ص5.

[23] -ينظر:إبراهيم عوض، من الطبري إلى سيد قطب، دراسات في مناهج التفسير ومذاهبه، دار الفردوس للطباعة، دط، 2010، ص ص250-251.

[24] -وسيمة نجاح مصمودي، المقارباتُ العِرفانيّةُ وتحديثُ الفكرِ البلاغيّ، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2017،ص116.

[25] -سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، لبنان،ط10، 1982، مج1، ج1، ص17.

[26] - المرجع نفسه، ص26.

[27] - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط10، 1982، مج1، ج1، ص139.

[28] - المرجع نفسه، ص728.

[29] -ينظر:جورج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال، ط1، 1996، ص 33.

[30]- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط10، 1982، مج1، ج1، ص ص13-14 .

[31] - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط10، 1982، مج1، ج1، ص23.

[32] - خالد محمد خالد،مع الضمير الإنساني في مسيره ومصيره، دارالمقطم للنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 2004، ص8.

- عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهوميّة، كتاب مجلّة نزوى، أفريل 2002، ص41.[33]

[34] - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط10، 1982، مج1، ج1، ص439.

[35] - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط10، 1982، مج1، ج1، ص23.

[36] - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط10، 1982، مج1، ج1، ص39.